زعيتر بجرأته في الطرح السياسي، وحسم الأمور. ولعل ما حدث في مهرجان نابلس، لمناسبة قدوم اللنبي في ١٩ نيسان (أبريل) ١٩٣٣، يدلّل، بوضوح، على مدى جرأة زعيتر في مواجهة الأمور. فقد حدث في هذا المهرجان أن دخل إلى مكان الإجتماع ضابطان، من إدارة الأمن العام، يرافقهما نفر من البوليس واقتحموا الإجتماع وجلسوا وسط الجمهور وهم بلباسهم العسكري. ولم تشأ كشافة خالد بن الوليد وقائدها ممدوح السخن، وهم المشرفون على ترتيب الإجتماع، أن يصطدموا بهم. وعندما حان موعد افتتاح الحفلة، رغب عجاج نويهض في فضّها، اعتراضاً على حضور البوليس، بينما كان رأي أكرم زعيتر البدء بالمهرجان، والتكلّم بما ينسجم مع خط الحزب السياسي. وتفاقمت الخلافات بين أعضاء هيئة الحزب المركزية حول هذه النقطة، إلى أن حسمها أكرم زعيتر بكلمة مرتجلة قال فيها: «أيها السادة الكرام أهلاً بكم، الشكر الجزيل لأنكم لبيتم دعوتنا إلى هذا الإجتماع الذي نعقده استنكاراً لمجيء اللورد اللنبي وزير المستعمرات. وعلي الآن أن أشرح لكم سبب تأخير الإجتماع، إنه حضور هذين الضابطين ومعهما نفر من البوليس. أرسلتهما السلطة ليسمعا أقوالنا، فاستنكرنا ذلك. لكننا انتهينا إلى أن في بقائهما فائدة، هي أن ينقلا للسلطة كل ما نقول، وأن يترجما هذا السخط الذي نكنّه لها. يا رجال الأمن كونوا صادقين فيما تنقلون، قولوا للسلطة إننا قوم أخذنا على أنفسنا أن نجهر بحق، قولوا لها إن هذا الشعب ناقم عليها، غاضب عليها ساخط عليها، يكرهها ويستنكر أفاعيلها، إنه يطلب الحرية، إنه ينشد الاستقلال» (٤).

كما شارك زعيتر في المؤتمر التأسيسي «لعصبة العمل القومي»، الذي انعقد في قرنايل بلبنان، في الفترة من ٢٤ إلى ٢٩ آب (أغسطس) ١٩٣٣، وحضره شباب من سوريا، وفلسطين، ولبنان. واتخذ هذا الإجتماع طابعاً سرياً، حيث بحث المؤتمرون فيه واقع العرب وأحوالهم، ووقفوا عند نقاط ضعف الأمة العربية وقوتها، ووجدوا ان السبيل الوحيد لنهضتها يكمن في استقلالها استقلالاً مطلقاً، وإنجاز الوحدة العربّية الشاملة. وقد تميّز البيان التأسيسي «لعصبة العمل القومي» بطابعه النقـدي والتحليلي، وببحثـه في الوسائل الكفيلة بنهضة الأمة العربية، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً (٥).

وقد عرف عبدالرزّاق الدندشي كزعيم للعصبة، وكان د. رشدي الجابي رئيساً للمؤتمر بالإنتخاب، ونائباه ناجي معروف من العراق، وأكرم زعيتر من فلسطين*. وقد عُهد إلى زعيتر في نهاية المؤتمر بتلاوة محاضر المؤتمر، وصياغة بيانه التأسيسي. ويعتبر هذا البيان من أجمل الأدبيات القومية العربية، وأشدّها وضوحاً في الثلث الأول من هذا القرن.

وبعد انتهاء المؤتمر، توفي الملك فيصل، فأوفد زعيتر لتمثيل حزب الاستقلال في تأبين الملك. وقد وصل إلى بغداد، وشارك في التأبين بكلمة عاطفية جاء فيها:

---

* نصت المادة الثامنة من قانون حزب الاستقلال العربي بأنه ليس لأعضاء هيئة الحزب وهيئات فروعه، أن ينتسبوا إلى حزب سياسي آخر إلا بإذن من هيئات الحزب، وبذلك فقد سمح لزعيتر بالإنتساب لـ «عصبة العمل القومي»، وهو يشغل في الوقت نفسه، عضوية الهيئة المركزية لحزب الاستقلال العربي.